جامعة واسط
مجلـــة كليـــة التربيـــة

العـــــدد السادس والثلاثون
الجزء الثاني / آب / ٢٠١٩

اللسان واللغة بين الاستعمال القرآني

والدرس اللغوي الحديث

أ.م.د عزيز سليم علي

جامعة واسط / كلية التربية للعلوم الإنسانية

الملخص : بعد أن اتضح مفهوم اللسان واللغة في الدرس اللغوي الحديث ، فإن الباحث يسجل استغرابه من عدم استعمال علماء العربية القدماء ـ على جلالة قدرهم ـ هذا المصطلح اقتداءً بالقرآن الكريم الذي كان همّهم ، و هدفهم من أجل الحفاظ عليه ، فقد شاعت في دراساتهم كلمة (لغة) دون لسان إلا في مراحل متأخره ،على أن القرآن الكريم و من طريق السياق الذي وردت فيه كلمة (لسان) مفردة ومجموعة ، عبر بها عن كل ما تنبه إليه المحدثون في ما تحويه مفردة (لسان) . وهذا ليس بغريب على كتاب تلذ بتلاوته الألسنة ، و لا يخلق ، ولا تنقضي عجائبه .

abstract

After surveying the research (tongue and Language) and its denotation in the Holly Quran , and in the modern linguistic lesson , it records a clear understanding to the modern scholars of these terms as well establishing through the Holly Quran who uses (the tongue) to refer to the the communicative means among people.The term (Lugha ;Language)is missed in the Holly Quran and instead he uses what is derived from its base to refer to what is not accepted of conversation and stuffing which is nonsense beside the ignorance of the most linguistic sholars regarding the term (Al-Lyssan;tongue)

توطئة :

يعتقد كثير من الباحثين أن مصطلح (اللسان) أو(اللسانيات) مفهوم حديث للعلم الذي يدرس اللغة ، و لم يكن علماء العربية القدماء على وعي به وعلم . مع التأكيد على أنه لم يكن علما له قواعده وضوابطه كما هو اليوم عند المحدثين ، بل كان مبثوثاً في مؤلفاتهم بمباحثه المختلفة و مستوياته : (الصوتي، والصرفي ، والنحوي، والدلالي ، وحتى (التداولي) . أما مصطلح (اللغة) فقد استعملها القرآن الكريم استعمالا مختلفا عما يشاع لها من معنى في العصر الحديث .

و نسجل بدءاً على الدرس اللغوي القديم وعلمائه أنهم لم يُعنوا كثيراً في أبحاثهم بعلاقة اللغة بالفكر ، وكيف يتكلم الإنسان و كيف يختار اللفظة المناسبة للمعنى الذي يريد إبلاغه للمتلقي كما هو الحال عند المحدثين ، إلا في قضية نقدية قديمة تمس هذا الموضوع مسيسا هي قضية (اللفظ والمعنى) ، إذ انقسم فيها النقاد أنذاك بين منتصر للفظ وآخر يفضل المعنى (١) . وهذا من دون شك يتعلق بتفكير الإنسان وحركته الذهنية التي تسبق الكلام ، يقول الجاحظ ــ منتصرا للفظ على المعنى: (المعاني مطروحة في الطريق يعرفها الأعجمي و العربي والقروي والبدوي ، وإنما الشأن في إقامة الوزن و تحبير اللفظ و سهولته و سهولة المخرج) (٢) .

وهذا البحث محاولة لبيان الاستعمال القرآني لهذين المصطلحين ، ومقاربتهما مع مفهومهما في الدرس اللغوي الحديث .

اولا- اللسان في القرآن الكريم :

أصّل القرآن الكريم لمصطلح اللسان ، حيث ورد في آياته المباركات (أربع عشرة مرة) في قوله تعالى:" لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ م " المائدة : ٧٨ ، و قوله تعالى :" وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ" إبراهيم : ٤ ، و قوله تعالى: " وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ " النحل : ١٠٣ ، و قوله تعالى: " وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيّاً " مريم : ٥٠ ، و قوله تعالى : " فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْماً لُّدّاً " مريم : ٩٧ ، و قوله تعالى : " وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي" طه : ٢٧ و قوله تعالى: وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ " الشعراء :١٣ ، وقوله تعالى : "وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ" الشعراء : ٨٤ ، و قوله تعالى: " بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ" الشعراء ١٩٥ ، و قوله تعالى: " وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَاناً فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءاً يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ " القصص ٣٤ و قوله تعالى: " فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ " الدخان : ٥٨ ، و قوله تعالى: " وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَاماً وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَاناً عَرَبِيّاً لِّيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَى لِلْمُحْسِنِينَ " الأحقاف : ١٢ ، و قوله تعالى: " لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ

" القيامة : ١٦ و قوله تعالى: " وَلِساناً وَشَفَتَيْنِ " البلد: ٩ . و جاء جمعاً (ألسنة) عشر مرات ، في قوله تعالى : " وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقاً يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ " ال عمران : ٧٨ ، و قوله تعالى: " مِّنَ الَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيّاً بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْناً فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْراً لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِن لَّعَنَهُمُ اللهُ بِكُفْرِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً " النساء :٤٦ ، و قوله تعالى: " وَيَجْعَلُونَ لِلّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَى لاَ جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ " النحل:٦٢ ، و قوله تعالى: " وَلاَ تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَـذَا حَلاَلٌ وَهَـذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ لاَ يُفْلِحُونَ " النحل : ١١٦ ، و قوله تعالى: " إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّناً وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ " النور : ١٥ ، و قوله تعالى: يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ " النور : ٢٤ و قوله تعالى: " وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِين " الروم :٢٢ و قوله تعـالى: " أَشِحَّةً عَلَيكُمْ فَإِذَا جَاء الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُوْلَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيراً " الأحزاب :١٩ و قوله تعالى: " سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئاً إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرّاً أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعاً بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً " الفتح :١١ و قوله تعالى: " إن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاء وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ " الممتحنه : ٢ .

و الواضح أن (لسان) مفرداً و جمعاً تقترن بدلالتين :

الأولى: دلالة ضيقة ، ويقصد بها الجزء المعروف في جسم الإنسان الذي يساعد بمرونته وحركته على إنجاز كثير من الوظائف ، وإنتاج بعض الأصوات(٣) . والأخرى واسعة : وهي (تقترب) من المفهوم الحديث للسان وعلومه . ومع أن لفظة (لسان) قد استعملها اللغويون القدماء كقول أبي عمروبن العلاء : (ما لسان حمير و أقاصي اليمن بلساننا " (٤) ، وقال يونس بن حبيب " أول من تكلم العربية و نسي لسان أبيه ، إسماعيل بن إبراهيم (صلوات الله عليهما)" (٥) .

وجاءت لفظة (لسان) في أشعار العرب مفرداً كقول الحطيئة : (٦)

نَدِمتُ عَلى لِسانٍ فاتَ مِنّي

وَدِدتُ بِأنَّهُ في جَوفِ عِكمِ

و قول أعشى باهله (٧)

إنّي أتتني لسانٌ مَا أُسَرُّ بها

من عُلو لاعَجبق فِيهَا ولاسَخَرُ

و جمعاً ، كقول العجاج : (٨)

أو تَلحَجَ الألسُنُ فينا مَلجا

إنّ الله سبحانه وتعالى لما ذكر لفظة اللسان – مفردا أو جمعا –ذات دلالات متعددة حسب السياق القراني ، وما اورده ابن منظور في بيان مفهوم اللسان ، ذكر : (جارحة الكلام وقد يكنى بها عند الكلمة فيؤنث ...وقال ابن بري :واللسان هنا الرسالة والمقالة .)(٩) واشار ابن سيده الى مفهوم اللسان ، فقال : (اللسان الثناء ... واللسان اللغة)(١٠) فالسان آلة النطق والبلع ، وجمعه ألسنة (١١)، وجاء دالا على اللغة في القران في سياق النص الكريم : (وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ) ابراهيم ٤ ، أي اللغة ، والمراد إرسال الرسل بلسان قومه ، إرساله بلسان القوم لسان العرب (١٢) ، وكذلك يدل على الثناء كمل في قوله تعالى : (وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ) الشعراء ٨٤ والمراد من النص أن يكون ممدوح كل إنسان ومحبوب كل قلب (١٣)، ويدلّ على معنى الرسالة ، ولسان الوم المتكلم عنهم(١٤) . على أن لها استعمالات مجازية أيضاً ، فقد تأتي بمعنى ما يتشكل من النار في قولهم: (لسان النار) ، و بمعنى الكذب في قولهم: (تلسّن عليه) أي كذب ، ومعاني أخرى كثيرة (١٥) . و هم في هذا يريدون ما التبس عليهم الأمر والتداخل بين مصطلحي اللسان واللغة . إلا أن المفسرين – وهم المعنيون بالقرآن الكريم – لم يعطوا المصطلح حقه ، وكانوا يفسرونه باللغة ، يقول (الزمخشري) في تفسير قوله تعالى : " إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَـذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ " : اللسان : اللغة (١٦) . وقال (مجاهد) : " أي يتكلم بالرومية " (١٧) ، و فسره الطبري بقوله : " بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ " (١٨) . وهم غالباً ما يفسرونه بحسب السياق الذي يرد فيه ، و لم يفردوا له معنى محدداً .

و أحسب أن القرآن الكريم هو من أسس لهذا المصطلح الذي نجده عند علماء العربية القدماء بما يقترب من المعنى الذي أراده القرآن ،كقول أبي عمرو ويونس . مع أننا نجد (الطبري) أكثرالمفسرين اقتراباً من المراد القرآني . يقول في تفسيره : " كانت العرب وإن جمع جميعها اسم إنهم عرب فهم مختلفو الألسن بالبيان ومتباينو المنطق والكلام " (١٩) .

إن اللغويين انذاك كانوا يستعملون مصطلح اللغة وهم يريدون به كل ما يتعلق باللسان كما نفهمه اليوم ، فكانوا يقولون : لغة قريش ، ولغة هذيل ، ولغة كنانة . مبتعدين في هذا عن مراد القرآن الكريم الذي استعمل الجذر (ل غ و) بمعنى الكلام الزائد و الحشو الذي لا فائدة (٢٠) كقوله تعالى :

" لاَّ يُؤَاخِذُكُمُ اللّهُ بِاللَّغْوِ فِيَ أَيْمَانِكُمْ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ " البقرة :٢٢٥ ، و قوله تعالى :" لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً إِلَّا سَلَاماً وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيّاً " مريم :٦٢ و قوله تعالى: " وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ " المؤمنون :٣ ،و قوله تعالى: " وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَاماً " الفرقان :٧٢ و قوله تعالى: " وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ " القصص : ٥٥ و قوله تعالى: " وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ " فصلت :٢٦ ، و قوله تعالى: " يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْساً لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ " الطور :٢٣ و قوله تعالى: " لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً إِلَّا سَلَاماً وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيّاً " الواقعة :٢٥ ، و قوله تعالى: " لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَـغْواً وَلَا كِـذَّاباً " النبأ : ٣٥ .

يقول :ابن جني (٣٩٢ هـ) وقد عقد باباً في (الخصائص) سماه: اختلاف اللغات و كلها حجة ،ويقصد باللغة اللهجة : " إلا أن إنساناً لو استعملها لم يكن مخطئاً لكلام العرب لكنه يكون مخطئاً لأجود اللغتين فأما إن احتاج إلى ذلك في شعر أو سجع فإنه مقبول منه غير منعي عليه ، و كذلك أن يقول : على قياس من لغته كذا وكذا و يقول على مذهب من قال كذا وكذا ، و كيف تفرقت الحال فالناطق على قياس لغة من لغات العرب مصيب غير مخطىء إن كان غير ما جاء به خيراً منه" (٢١) . فهو هنا يسمي اللهجة لغة و لا فرق بينهما عنده و يتحدث عن تعددها على ما عرف به من عناية كبيرة في العربية و دقائقها ،ولم يستعمل مصطلح (لسان) ، ولم يقتد كما هو الحال عند من سبقه بالقرآن الكريم في إطلاق هذا المصطلح على علوم العربية المختلفة .

والباحث في هذا الموضوع لابد من أن يتوقف عند (ابن خلدون) الذي تبلور عنده المفهوم واضحا ، وقد فهم أن اللغة (أي لغة) جزء من وعاء أكبر ومصطلح أشمل هو : (اللسان) ، يقول : " اعلم أن اللغات كلها ماكانت شبيهه بالصناعة ، إذ هي ملكات اللسان للعبارة عن المعاني وجودتها وحضورها بحسب تمام الكلمة أو نقصها " (٢٢) وحتى أهل المعجمات فإنهم أعطوا معنى (اللغة) للسان ، و بينوا تصريفاته ودلالاته بحسب السياق الذي يرد فيه .

ثانياً : اللسان في الدرس اللغوي الحديث

لا شك في أن الباحث –أي باحث – إذا أراد الخوض في الدرس اللغوي لا بد له من البدء بما قاله العالم اللغوي السويسري (فرديناند دي سوسير) الذي وضع قواعد هذا العلم و أسس له تاركاً المجال في الوقت نفسه الى الباحثين من أبناء جيله وممن يأتي بعده ليضيفوا ويناقشوا و يعدلوا ما تركه لنا من أثر. إن اللسان عند (سوسير) لا يعني تلك العضلة اللحمية المرنة في الفم فقط ، إنما هو وعاء شامل للغة وعلومها ، واللغة جزء من مصطلح أشمل هو (اللسان) ، يقول :" ينبغي أن نميز بينها و بين اللسان البشري،فاللغة (language) ، جزء محدد من اللسان ، مع أنه جوهري – لا شك – اللغة نتاج اجتماعي لملكة اللسان ومجموعة من التقاليد الضرورية التي تبناها مجتمع ما ليساعد أفراده على ممارسة هذه الملكة (٢٣) . واللسان يشمل عنده جوانب أخرى ، يقول : " اللسان متعدد الجوانب ، غير متجانس ، يشتمل على عدة جوانب في آن واحد – كالجانب الفيزياوي (الطبيعي) و الجانب

الفسلجي (الوظيفي) و الجانب السايكلوجي (النفسي) " (٢٤). ثم يفرق بينهما مؤكداً على أن للسان جانبا فردياً و أخر اجتماعياً و هو ملك للفرد وللمجتمع (٢٥) . ولعل أهم ما تنبه إليه (سوسير) هو اللسان لا يعنى به اللسان الشفوي بل هو (ملكة إنشاء اللغة) ، يقول : " إن الشيء الطبيعي عند الإنسان ليس اللسان الشفوي بل ملكة إنشاء اللغة ، أي نظام من الإشارات المتميزة يرتبط بأفكار (لمعان) متميزة " (٢٦)

ويؤكد (سوسير) إن ارتباطاً وثيقاً بين اللسان الشفوي واللسان (العلم الجامع) بحسب (بروكا Broca) الذي اكتشف " أن ملكة الكلام تقع في الثلث الأيسر من الجزء الأمامي من المخ "(٢٧) . و يتضح هذا الارتباط في القدرة على النطق و الكتابة ، و إذا ما فقد الإنسان القدرة على الكتابة ليس شرطاً أن تكون على علاقة بعدم القدرة على النطق بصوت معين ، بل هو العجز عن استغلال وسيلة من أنظمة اللسان التي تكمن وراءها ملكة عامة هي الملكة اللغوية التي تأخذ إيعازاتها العصبية من الثلث الأيسر من الجزء الأمامي من المخ ، فأي خلل في هذا الثلث يؤدي إلى خلل في النطق و خلل في الكتابة (٢٨) . إن علم اللسان عند سوسير هو (اللسانيات) الذي أراد له أن يكون علماً مستقلاً مختصاً بعلوم اللغة كالعلوم الطبيعية الأخرى ، و هو نظام مكتمل الجوانب لما يتواصل به الناس اعتماداً على الملكة اللغوية وما يساندها من العلوم الفسيولوجية الأخرى . إن ما نلاحظه عند كثير من الناطقين من خلل في نطق بعض الأصوات منفردة أو بعض الكلمات التي تتكون من أصوات معينة أو في كتابتها و حتى ما نسميه بـ (زلات اللسان) و الأخطاء اللغوية فإنه يرجع الى اضطربات ناتجة عما يصيب الجزء المسؤول من الدماغ عن ملكة إنتاج اللغة (٢٩) . إن اللسان عند المحدثين وعند من اهتم بتطبيق ما تعلمه و ما نقل من كتب الغربيين في اللغات هو إنه لا يمكن أن يفهم بالمعنى الضيق له (اللغة) ، و إنما يجب أن ينظر له على أنه (متعدد العلوم) ، في اللغة ذاتها ، و في ما يحيط بها ، ويؤثر فيها وحتى في مناهج البحث ، فإن (اللسان) يتضمن : (اللسانيات التاريخية ، واللسانيات الرياضية ، واللسانيات التوليدية ، واللسانيات الجغرافية ، واللسانيات الإجتماعية ...) . و يتضمن مناهج للدراسة اللغوية مثل (علم العلامات السيميائيات ، والشعرية ، والسرديات ، وفلسفة اللغة ، والبلاغة ، والأسلوبية وغيرها .....) (٣٠) أما اللغة بالنسبة للسان فهي بعض من كل : اللغة جزء ، واللسان كل . و(اللغة) عند اللسانيين تدرس منطوقة ومكتوبة ، وهاتان المهارتان تكتسبان اكتساباً .الأولى (النطق) طبيعية بحسب الوسط اللغوي الذي ينشأ فيه الناطق إذا استوت أجهزته النطقية ، إذ يبدأ يسمع فيقلد شيئاً فشيئاً و يربط بين الأصوات و معانيها (٣١) أما الأخرى (الكتابة) فيتعلمها على وفق قواعد خاصة بكل لغة ، ويصل إلى ما يمكن أن نسميه بـ (الذروة اللغوية) إذا اكتفى لغوياً ، وحَسُنَ أداؤه بتطبيق قواعد اللغة التي يتكلم بها و يسير على وفق ضوابطها . و باللغة نتحدث عن العالم ، وعن اللغة نفسها ، وعن غيرها من اللغات ، يقول (جون لاينز) : " يمكن أن تستخدم اللغات للتحدث لا عن العالم بصورة عامة فحسب ، بل عن نفسها أيضاً و عن لغات أخرى"" (٣٢) . و قد اهتم علماء اللغة اعتماداً على وظيفة اللغة في التحدث بلغات أخرى بما يسمى بـ (ما وراء اللغة) ، ويضيف (لاينز) : "لقد كون علماء اللغة وعلماء المنطق عدداً متنوعاً من (ما وراء اللغات) ذات طابع شكلي جداً (...) وظيفتها الوحيدة وصف اللغات الطبيعية الاعتيادية

على أدق وجه ممكن " (٣٣) . وعدوا للغة نظريات ، وفرقوا بين لغة الأدب ولغة الضرورة التي تهدف إلى الفهم و الإفهام بين الباث والمتلقي مع مراعاة ليست دقيقة لضوابط النحو والصرف ، بينما تمتاز اللغة الأدبية باستثنائات وانحرافات ، فضلاً عن التحرك في داخل التركيب والنص بما يوافق قواعد اللغة من تقديم و تأخير وحذف وذكر وتكرار وغيرها...(٣٤) . وكانت لهم عناية خاصة بالدلالة (علم المعنى) ،وعندهم أن علم الدلالة لم يستقر علماً الا بعد نشوء اللسانيات في العصر الحديث على يد (سوسير) ، و ذلك على الرغم من أن (ميشال بريال) كان أول من بحث في علم الدلالة بشكل مستقل فضلا عن عنأنه كان سابقاً لسوسير (٣٥) . ونظروا إلى اللغة وحدة متكاملة ، وهي كل متكامل بحقولها المختلفة (الصوتية و الصرفية و النحوية و الدلالية) على أن الدلالة حقل ملازم للحقول الأخرى (٣٦). و هذا كله يدخل في علم (السيمياء) الذي يدرس العلامات اللغوية و ليس له موضوع بحث غير الأشكال التي يعبر المعنى من خلالها (٣٧) . فهم نظروا الى اللغة جزءاً محدداً من اللسان ، أما اللسان فهو : مجموعة من التقاليد اللغوية التي يتبناها مجتمع ما ، يقول سوسير " و لكن ما اللغة (language) ؟ ينبغي أن نميز بينها و بين اللسان البشري (language) ، فاللغة جزء محدد من اللسان مع أنه جزء جوهري – لا شك- واللغة نتاج اجتماعي لملكة اللسان ، ومجموعة من التقاليد الضرورية التي تبناها مجتمع ما ليساعد أفراده على ممارسة هذه الملكة (٣٨) . و بعد أن اتضح مفهوم اللسان واللغة في الدرس اللغوي الحديث ، فإن الباحث يسجل استغرابه من عدم استعمال علماء العربية القدماء ـ على جلالة قدرهم ـ هذا المصطلح اقتداءً بالقرآن الكريم الذي كان همهم ، و هدفهم من أجل الحفاظ عليه ، فقد شاعت في دراساتهم كلمة (لغة) دون لسان إلا في مراحل متأخره ،على أن القرآن الكريم و من طريق السياق الذي وردت فيه كلمة (لسان) مفردة ومجموعة ، عبر بها عن كل ما تنبه إليه المحدثون في ما تحويه مفردة (لسان) . وهذا ليس بغريب على كتاب تلذ بتلاوته الألسنة، و لا يخلق ، ولا تنقضي عجائبه الخاتمة بعد أن تتبع البحث (اللسان واللغة) ودلالتها في القرآن الكريم ، و في الدرس اللغوي الحديث ، يسجل فهماً واضحاً للمحدثين لهذه المصطلحات ، و تأسيساً من القرآن الكريم الذي استعمل (اللسان) ليدل به دلالة كلية على وسيلة التواصل بين الناس . وقد غابت مفردة (لغة) عن القرآن الكريم ، واستعمل ما اشتق من جذورها ليدل على ما لا يقبل من الكلام و الحشو الذي لا فائدة منه .مع تغافل واضح لأغلب علماء العربية القدماء لمصطلح اللسان في مؤلفاتهم التي تعد باكورة الانتاج في اللسان العربي . فضلا عن الدلالات المتعددة للفظة اللسان في السياق القراني وغير القراني فمنها ماجاء دالا على اللغة والرسالة والمقالة والثناء والكلام ، وكذلك الدلالات المجازية .

الهوامش

١-ينظر : النقد المنهجي عند العرب:٧٨٢

٢-البيان والتبين : ٣٢/١

٣- ينظر: الاصوات اللغوية:٦٧

٤-طبقات فحول الشعراء:٩/١

٥- طبقات فحول الشعراء: ٩/١

٦- ديوان الحطيئة : ٧٦

٧- الديوان : ٤٤٣

٨- الديوان :١١٣

٩- لسان العرب مادة لسن

١٠- المحكم والمحيط الاعظم:٤٩٨/٨ وينظر لسان العرب مادة لسن.

١١- ينظر :معجم مفاهيم القران والفاظه :٤٣٣

١٢- ينظر: الميزان : ١٣/١٢

١٣- ينظر التفسير الكبير : ١٣/١٢

١٤- ينظر لسان العرب : مادة لسن.

١٥- لسان العرب : مادة ٠لسن)

١٦- الكشاف : ٥٩٣/٢

١٧- تفسير الطبري: ٢٩٨/١٧

١٨- تفسير الطبري: ٢٩٨/١٧

١٩-تفسير الطبري : ٩/١

٢٠-ينظر فصول في فقه العربية: ٩٦ وفي اللهجات العربية : ١٧٤

٢١-الخصائص: ١٧٨/٢

٢٢-المقدمة : ٥٨

٢٣-ينظر : علم اللغة العام : ٢٧

٢٤-علم اللغة العام : ٢٧

٢٥-ينظر: علم اللغة العام : ٢٦- ٢٧

٢٦- علم اللغة العام:٢٨

٢٧- علم اللغة العام:٢٨

٢٨- علم اللغة العام:٢٨-٢٩

٢٩-ينظر : أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة: ١٩٢

٣٠-القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان : ٢٠١٨/٢٦

٣١-ينظر: دلالة الالفاظ : ٤٦ واساسيات اللغة : ٣٦

٣٢-اللغة والمعنى والسياق : ١٨

٣٣-ينظر : اللغة والمعنى والسياق : ١٨

٣٤-ينظر: نظرية اللغة في النقد الادبي: ٢٩٥

٣٥-اللسانيات والدلالة : ٤١

٣٦-ينظر : اللسانيات والدلالة: ٥٩

٣٧- ينظر : سيميائية اللغة:

٣٨-ينظر: علم اللغة العام: ٣٢

المصادر والمراجع

***القران الكريم .**

***اساسيات اللغة /تراسك ترجمة رانيا ابراهيم يوسف ط١ المجلس الاعلى للثقافة العربية / القاهرة مصر ٢٠٠٢م.**

***الاصوات اللغوية / د. ابراهيم انيس /ط١ مصر ٢٠٠٧م مكتبة الاتجاه القاهرة**

***اضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة /د.نايف خرما /علم المعرفة /اصدارات المجلس الوطني للفنون والادب /الكويت ١٩٧٨م.**

***البيان والتبيين / لابي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥هـ)تحقيق عبد السلام محمد هارون /مكتبة الخانجي القاهرة ط١ ١٩٨٥م.**

*** التفسير الكبير او مفاتيح الغيب/ للامام فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين ابن الحسن بن علي التميمي البكري الرازي الشافعي (ت ٦٠٤هـ) / دار الكتب العلمية بيروت لبنان / ط٢ ٢٠٠٤م .**

***تفسير مجاهد/ ابو الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي القرشي المخزومي (ت١٠٤هـ) تحقيق د. محمد عبد السلام ابو النيل /الناشر دار الفكر الاسلامي الحديث مصر / ط١ ١٩٨٩م.**

***جامع البيان عن تاويل أي القران /محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الاملي ابو جعفر الطبري (ت٣١٠هـ) /تحقيق دز عبد الله بن عبد المحسن التركي / الناشر دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والاعلان / ط١ ٢٠٠١م.**

***الخصائص / ابو الفتح عثمان بن جني (ت٣٩٢هـ)/ تحقيق محمد علي النجار/ دار الهدى للطباعة والنشر /بيروت لبنان ط٢ ١٩١٣م.**

***دلالة الالفاظ / د. ابراهيم نيس / الناشر مكتبة الانجلو المصرية القاهرة / مطبعة عبد الكريم ٢٠٠٤م.**

***ديوان الاعشى م دار صادر بيروت للطباعة والنشر / ١٩٦٠م.**

***ديوان الحطيئة / برواية ابن السكيت (ت٢٤٦هـ) دراسة وتبويب د.مفيد محمد /دار الكتب العلمية بيروت ط٣.**

***ديوان العجاج م رواية الملك بن قريب الاصمعي / تحقيق د. عزة حسن / مكتبة دار الشرف بيروت .**

*سيمائية اللغة /جوزيف كورتيس / ترجمة د.جمال حضري/ المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع بيروت ط١ ٢٠١٠م.

* علم اللغة العام / فرديناند دي سوسير/ ترجمة د. يوئيل يوسف عزيز / دار الكتب للطباعة والنشر م جامعة الموصل ١٩٨٨م.

*فصول في فقه العربية / د. رمضان عبد التواب / مكتبة الخانجي _ القاهرة مصر ١٩٧٩م.

*في اللهجات العربية / د. ابراهيم انيس / مكتبة الانجلو المصرية / القاهرة ٢٠٠٢م.

*القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللغة /تاليف أوزوالد ديكرو جان ماري سشايفر/ ترجمة د. منذر عياشي المركز الثقافي العربي _ الدار البيضاء المغرب / ط٢ ٢٠٠٧م.

*لسان العرب / لابي الفضل بن محمد بن مكرم بن منظور(ت ٧١١هـ٩ / دار الحديث للطباعة القاهرة ٢٠٠٣م.

*اللسانيات والدلالة / د. منذر عياشي / مركز الانماء الحضاري ط١ ٢٠٠٧م.

*اللغة والمعنى والسياق / جون لاينز ، ترجمة دز عباس صادق وهاب / مراجعة د. يوئيل يوسف عزيز / دار الشؤون الثقافية العامة بغداد ط١ ١٩٨٧م.

*معجم مفاهيم القرآن وألفاظه / الدكتور محمد بيستوني / الناشر المركز الاكاديمي للابحات العراق تورنتو كندا / توزيع شركة المطبوعات والنشر بيروت لبنان ط١ ٢٠١٥ م .

*المحكم والمحيط الاعظم/ تاليف أبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي المعروف بابن سيده (ت٤٥٨هـ)/ تحقيق الدكتور عبد الحميد هنداوي /دار الكتب العلمية بيروت لبنان / منشورات محمد علي بيضون /ط١ ٢٠٠٠م.

*مقدمة ابن خلدون /العلامة عبد الرحمن بن خلدون المغربي / شركة الاعلانات الشرقية مؤسسة الطباعة لدار التحرير للطبع والنشر ١٩٦٦م.

*الميزان في تفسير القران /تأليف العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي / قدم له السيد كمال الحيدري / تحقيق الشيخ أياد باقر سلمان / دار إحياء التراث العربي بيروت ط١ ٢٠٠٦م

*نظرية اللغة في النقد الادبي ، دراسة في خصائص اللغة من منظور النقاد/ عبد الحكيم راضي / المجلس الاعلى للثقافة القاهرة ط١ ٢٠٠٣م .